مجلة كلية الاداب / جامعة البصرة / العدد ١٦ / ١٩٨٠

سياسة الهجرة الروسية في آسيا الوسطى

بقلم : شروفا

ترجمة : د. نوري عبد البخيت

عملت حكومة روسيا القيصرية بعد احتلالها اسيا الوسطى في مطلع القرن التاسع عشر على تثبيت نفوذها الاستغلالي هناك واعتبار هذه المناطق جسرا للوصول من خلالها الى افغانستان والهند ، كما املت ان تكون مورده اساسيا للاقطان المطلوبة للصناعات القطنية الناشئة وسوقا لتصريف المنتجات الصناعية الروسية . وفي الوقت نفسه اعتبرت حكومة روسيا القيصرية استعمار اسيا الوسطى وسيلة للتخفيف عن الخلافات والتناقضات القائمة بين النبلاء من الملاكين وبين الفلاحين من روسيا الاوربية على اساس ان الامر سيتيح الفرصة لانتقال عدد كبير من هؤلاء الفلاحين الى المناطق الجديدة وبتشجيع من الحكومة .

وعلى ضوء هذه الاعتبارات فقد غدا استعمار اسيا الوسطى من الاهداف الاساسية لسياسة روسيا القيصرية . الا ان الهجرة الى هذه المناطق كانت تسير بخطى بطيئة جدا خلال السنوات العشر الاخيرة من القرن التاسع عشر . ففي الفترة الممتدة مابين ١٨٦٨ ـ ١٨٨٣ تم تأسيس ستة وثلاثين قرية روسية في مقاطعة سيمرا كان تعيش فيها ٢٥٠٠ عائلة فلاحية روسية جاءت اليها من اوكرانيا ونوريجسكيز وجربيرين ، يضاف الى ذلك ان ١٩٠ عائلة من التجار و ١٤٠٠ عائلة من البرجوازية توافدوا للسكن في مدن المنطقة المحتلة وكذلك كان الامر في مقاطعة سردار التي بدأ الاستيطان

ملاحظـــة : المقالة جزء من اطروحة قدمتها المؤلفة السوفياتية « شروفا » لنيل درجة الدكتوراه ـ جامعة طاشقند عام ١٩٥٦ .

اسيا الوسطى : وهي جزء من اسيا السوفياتية ، وتشمل في الوقت الحاضر جمهورية تركمانيا واوزبكستان وتاجيكستان وقرغيزيا والقسم الجنوبي من كازاخستان .

(المترجم)

★مقاطعة سيمر تقع في الاقسام الشرقية من جمهورية كازاخستان السوفياتية
المترجم

الروسي فيها منذ / ١٨٧٤ الا ان تدفق المهاجرين اليها كان يسير بخطى بطيئة أيضا • اذ لم يتجاوز عدد القرى التي تم انشاؤها في الفترة الممتدة ما بين ١٨٧٤ ــ ١٨٩٠ عن العشرين قرية تعيش فيها ١٢٩٨ عائلة فلاحية روسية(١) •

ولم يبدأ الاستيطان الروسي في مقاطعات سمرقند وفرغانا حتى سنة ١٨٩٨ ، وكذلك الحال بالنسبة للمناطق الواقعة في ما وراء القفقاس ، فلم تتم هناك الا اعداد قليلة من القرى الروسية لغاية الثمانينات من القرن التاسع عشر • الا انه عندما حدثت المجاعة في روسيا الاوربية في الفترة ١٨٩١ ــ ١٨٩٢ بدأت جماهير الفلاحين تبحث عن مناطق جديدة فهاجر الى تركستان ١٢ الف فلاح وتم تأسيس ٢٣ قرية روسية وكانت هذه الهجرة بصورة عفوية وغير منتظمة •

وبعد ان تولى نيقولا الثاني العرش صرح في اجتماع لجنة سكة حديد سيبريا في آذار عام ١٨٩٥ قائلا : على الحكومة ان تركز جهودها حتى تكون الهجرة اكثر وعيا وادراكا لتأخذ موقعها الصحيح وان تقدم للمهاجرين المساعدات الكافية وتحميهم من المخاطر (٢) •

ان السبب الاساسي الذي ادى الى تطور الهجرة الى اسيا الوسطى وجود مساحات واسعة من الاراضي الخصبة الغير ماهولة بالسكان • الا ان عدم توفر المياه الضرورية للزراعة تحول الى سبب معرقل امام الهجرة الروسية • فقد كان الري الاصطناعي ضروريا لحل مشكلة المياه هناك ، ولهذا السبب اصدرت الحكومة القيصرية في ١٥ حزيران سنة ١٨٩٦ امرا يمنع الهجرة الى مقاطعة سيميريجسكي كما منعت من سنة ١٨٩٧ الهجرة الى مقاطعة تركستان اذ اصدر الحاكم العام لمقاطعة تركستان امرا يمنع فيه الهجرة الى مناطق سردار وسمرقند وفرغانا والمناطق الواقعة في ماوراء بحر القزوين وعلى هذا الاساس فقد اعتبرت اسيا الوسطى مغلقة امام الهجرة الروسية في الفترة الممتدة مابين ١٨٩٦ ــ ١٨٩٧ • لكن اشتداد التناقضات الانكليزية الروسية في بداية القرن العشرين زاد من اهمية اسيا الوسطى بالنسبة لروسيا القيصرية ، كما ان مصالح البرجوازية الروسية اقتضت تطوير زراعة القطن في تلك البقاع وبتأثير من هذه الاسباب طلب القيصر نيقولا الثاني الاستمرار في سياسة الهجرة والاستيطان في اسيا الوسطى واكد على ضرورة الاسراع في

١ -- تقرير الحملة التفقدية التي قام بها المستور بالين لمقاطعة تركستان ص ١٧٧ « مشاكل الهجرة » بطرغراد ١٩١٠ •

٢ -- روسيا الاسيوية ج ١ ص ٤٦٠ بتروغراد سنة ١٩١٤ •

سردار : احدى مقاطعات جمهورية كازاخستان السوفياتية وتنسب الى نهر سردار الذي يصب في بحر اورال •

المترجم

تنفيذ مشاريع الري على طول نهر كوجارتين وفي صحاري نامانجان وانديجان على الرغم من ظروف ـ الحرب الروسية اليابانية ـ ·

وفي سنة ١٩٠٤ وضعت وزارة الزراعة منهاجا حكوميا لخطة العمل في اسيا الوسطى يتضمن الاسس التالية :

١ – تطوير زراعة القطن وتوسيعها الى الحد الذي تسد فية حاجة البلاد من المنسوجات القطنية ·

٢ – تطوير المشاريع الزراعية من اجل زيادة مساحة الرقعة الزراعية ·

٣ – تنظيم الهجرة الروسية الى المناطق الجديدة بحيث تتناسب مع هدف التوسع في زراعة القطن· وان يتناسب هذا مع الاهداف السياسية التي ترمي اليها الحكومة الروسية من وراء اسكان المواطنين الروس في هذه المناطق النائية ·

وتنفيذا للخطة التي وضعتها وزارة الزراعة فانها عمدت الى مصادرة الاراضي من السكان الاصليين · الا ان نشوب الحرب الروسية اليابانية ونمو الحركة الثورية في اسيا الوسطى جعلا اللجنة الحكومية المختصة تؤجل العمل في مشروع الهجرة الفلاحية · الا ان الهجرة اخذت بالازدياد بعد ثورة سنة ١٩٠٥ ·فقد زاد عدد المهاجرين الى مقاطعة تركستان من ١٦ الف في سنة ١٩٠٢ الى ٢٣ الف في عام ١٩٠٥(١) · وكان مجموع المهاجرين الروس لفي سنة ١٩٠٦ كالآتي : مقاطعة سردار ٢٧٫٢٢١ نسمة ، مقاطعة سيميرجسكي ٣٩٫٧٥١ نسمة ، مقاطعة فرغانا ٣٧٩٤ وسمرقند ٢٥٧٩ وما وراء بحر قزوين ٣٨٢٩(٢) · وكانت هناك نسبة عالية من المهاجرين هاجروا بدون اذن ·

اوضحت الانتفاضات الفلاحية في الفترة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ للحكومة القيصرية انه بدون تحطيم نظام القرون الوسطى لايمكن ان يتم تهيأة الجو الملائم لتطوير روسيا وتقدمها اقتصاديا فقررت ان يكون لها درع حصين من القرى والارياف يتمثل في الكولات · (٣) ·وانطلاقا من هذا المبدأ حدد في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٠٦ مرسوم قيصري يقضي بعزل الفلاحين من الملكية المشاعة في القرى والغابات · وقد ادى تطبيق هذه السياسة الى تحطيم الملكية المشاعة ·

---

١ – تقرير بالين ـ حول شؤون الهجرة ص ١٧ ·
٢ – الارشيف التاريخي لينينغراد وثيقة ٥١ سنة ١٩٠٦ وثائق الهجرة ·
٣ – وهم صغار ملاكي الاراضي في الريف الروسي ·
(المترجم)

وقد حاولت الحكومة الروسية تطوير الرأسمالية في القطاع الزراعي وفقـا للطريقة الروسية على شرط ان يحافظ الاقطاعيون على اراضيهم الخاصة ، وبتطبيق هذه السياسة القائمة على اساس تهجير اكبر عدد ممكن من الفلاحين من المناطق المزدحمة تكون الحكومة القيصرية قد ساهمت في اضعاف ضغط الحركة الثورية في الاراضي الاقطاعية . ويشير الى ذلك التقرير السـري الذي رفعه الحاكم العام لسيبريا في كانون الثاني عام ١٩٠٦ والذي جـاء فيـه :

« تعتبر حركة الهجرة الفلاحية في الوقت الحاضر سلاحا للعمل من اجل حل المشكلة الزراعية » . وصرح البارون فاسيلجيسكوف في مجلس الدوما في ٥ تشرين الثاني عام ١٩٠٧ : « ان حركة الهجرة الفلاحية توضح هدف [illegible] العنصر السلافي في التطلع نحو الشرق وان الحاجز الوحيد الذي ان يقف في طريق هذه الهجرة يمكن ان يكون المحيط الهادي فقط » (١) . وطلب البارون فاسيلجيكوف من اعضاء مجلس الدوما مسـاندة حكـومة [illegible] في تحقيق [illegible] الذي اعتبره عظيما وجبـارا وبامكان [illegible] من [illegible] ان تصريحات فاسيلجيكوف [illegible] حكومة [illegible] بمشروع الهجرة الواسعة خدمـة لطبقة [illegible] والاقطاعيين [illegible] عددهم ثلاثين الفا في مختلف ارجاء روسيا . وبعد [illegible] ثورة سنة ١٩٠٥ ، ابدت [illegible] القيصرية اهتماما كبيرا بمشروع [illegible] تركستان [illegible] في ٥ مارت سنة ١٩٠٧ قائلا : « [illegible] ان نسمح [illegible] عدد المهاجرين الى تركستان في كل الاحوال ، ولا يمكن ان نسمح [illegible] في وجه الهجرة الى هذه المناطق ، بل على العكس يجب تشجيعها » (٢) . نظمت وزارة الداخلية سنة ١٩٠٦ لجنتين لتسهيل مهمة الهجرة وحددت هاتان اللجنتان المناطق المفتوحة لاستقبال المهاجرين وهي :
سيميريجنسكي وسيرادنيسكي في اسيا الوسطى وفرغانة وسمرقند . فأشتدت حركة الهجرة اليها خلال الفترة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ اكثر مـن الفترات التـي سبقتها . اذ بعد ان فقد الفلاحون الامل في الاستيلاء على اراضي النبـلاء

---

١ ـ قضايا استعمارية وثائق سياسية رقم ٢ سنة ١٩٠٨ ص ٤٧٥ بتروغراد .
٢ ـ الارشيف المركزي في بتروغراد ـ وثائق الهجـرة رقـم ٧٤ ورقـم ٢٠ سـنة ١٩٠٦ .

والكثير من الفلاحين [illegible] بدأوا يفتشون عن اراضي جديدة خارج روسيا ، فاتجهت الهجرة الى اسيا الوسطى وقد جاء ٢ر٨٦٪ منهم من جنوب ووسط مناطق [illegible] الروسية [illegible] ، من مناطق بحر [illegible] وجرنوجورسكي [illegible] وكييف [illegible] وكورسكي وساراتوف حيث عانى الفلاحون صنوف القسوة والشدة على يد الاقطاعيين في هذه المناطق بعد ثورة الحركة [illegible] لعام ١٨٦١ .

واستنادا الى تقارير الحاكم العام لمقاطعة تركستان فقد [illegible] المهاجرون الروس في مقاطعة [illegible] [illegible] ٢٧٤٢ في عام ١٩٠٧ ، وارتفع الرقم الى [illegible] في عام ١٩٠٨ (١) ، ووصل هذا الرقم الى ٥٠ الف في [illegible] ١٩١٠ ، وكان مجموع المهاجرين الى سمرقند وفرغانا وسيردارسكي ٥٧٢ عائلة للفترة ما بين شهر آب حتى اوائل كانون الاول سنة ١٩٠٦ وارتفع الرقم الى ٢٠٤٥ في سنة ١٩٠٧ [illegible] سنة ١٩٠٨ فكان ٨١١٧ وفي سنة ١٩٠٩ كان هناك [illegible] عائلة (٢) ان كل هذا [illegible] النزوح وما ينتظر [illegible] من [illegible] الفلاحين ومن الهجرة الى هذه [illegible] [illegible] المعدن والماء . وقد جاءت مثل هذه المعلومات في التقرير الذي رفعه الحاكم العام لمقاطعة [illegible] الى وزير النقل والمواصلات ، وكما ذكر فقد اتجه السيل الاساسي للمهاجرين نحو مقاطعة [illegible] والتي اعتبرت منذ البداية واحدة من

[illegible] المناطق الصالحة [illegible] الا ان [illegible] بين مجموعات المهاجرين من جهة والقوزاق [illegible] من الجهة الاخرى ادى الى اشتداد الصراعات والتحديات بين [illegible] من اجل الاستيلاء على الاراضي الخصبة . ان الجماهير المحتشدة من المهاجرين المشردين كانت تطالب الحكومة بأن تجد لهم الارض الملائمة حتى ولو كان ذلك على حساب السكان الاصليين . وفي سنة ١٩٠٧ نظمت وزارة الداخلية لجنة لدراسة مسألة استغلال اراضي الكزاخ فقررت اللجنة انتزاع هذه الاراضي من السكان الاصليين واعطائها للمهاجرين

---

١ — تقرير بالين حول شؤون الهجرة ص ٧٤ .
٢ — الارشيف المركزي لجمهورية ازبكستان . مشكلة الاراضي وثيقة ٦٦٣٠ ورقــم ٥٧ .

الجدد وتحول هذا القرار الى مايشبه القانون ، وقد استثنى القرار الاراضي التالية من المصادرة :

أ – الاراضي التي يشغلها القرغيز في فصل الشتاء ·

ب – المصادر الاروائية : الابار ، العيون والاراضي المروية من مياه الانهار·

جـ – الغابات الاصطناعية التي تحافظ على المحاصيل الزراعية ·

د – طرق القوافل والاراضي المستغلة للحجر الصحي ومواقف القوافل والمقابر (١) ·

وعلى هذا الاساس شملت المصادرة كافة الاراضي التي تحت تصرف ومفيدة ليس للكازاخ فقط ، بل للحكومة وللمهاجرين الجدد من الروس قبائل القوازق المتنقلة باستثناء اراضي المقابر والاراضي المشغولة بالسكان في فصل الشتاء والابار والغابات الاصطناعية وطرق القوافل والتي هي مهمة ايضـا ·

وفي سنة ١٩٠٨ وضع جيركن رئيس لجنة الهجرة والاستيطان خطـة لتأسيس المستوطنات في اسيا الوسطى بعد ان قام برحلة واسعة في مختلف ارجائها · تقوم هذه الخطة على اساس نقل السكان الاصليين من الاراضي الواسعة الى الاراضي المزدحمة نسبيا وبعدها بصورة تدريجية الى الاراضي الاكثر ازدحاما ليتسنى بذلك اسكان اكبر عدد من المستوطنين على اقـل مساحة من الارض (٢) · لكن هذه السياسة اصابة القرغيز بالفزع والخوف من اجلائهم عن اراضيهم مما كان من شأنه ان يدفعهـم الى الثورة والعصيان (٣) · كما ان الهجرة غير المنتظمة ادت الى وجود اعداد كبيرة من المهاجرين بدون مأوى وملجأ ·

ويذكر التقرير الصادر من اللجنة الحكومية في تركستان سنة ١٩٠٨ ان هذه الخطة ادت الى تحطيم ٥١٠٠ مستوطنة للسكان الاصليين يسكنها ٣٠

---

١ – الارشيف المركزي لجمهورية اوزبكستان وثيقة ٦٥٩٣ ورقـة ٣٧ سـنة ١٩٠٧ ·

٢ – جيركين ـ مشكلة الهجرة في مقاطعة سميرا ص٣١ سنة ١٩٠٨ بتروغردا

٣ – تقرير بالين حول مشكلة الهجرة ـ الارشيف المركـزي في جمهـورية اوزبكستان وثيقة ٧٤ ورقة ٢٤٧ ـ ٢٤٨ سنة ١٩٠٧ ·

الف شخص من اجل الحصول على ٢٥٠ الف هكتار من الاراضي يسكنها ٦ر٥ الف من المهاجرين على اساس ٤٠ هكتار لكل مهاجر · كما اتضح ان الكثير من هذه الاراضي لم تكن ملائمة للزراعة · ولما كانت سياسة حكومة ستولبين الاستيطانية تقوم على حساب السكان الاصليين من الكزاخ فان هؤلاء بادروا بالشكوى الى مجلس الدوما والحاكم العام لتركستان ورئيس الوزراء ستوليبين وجاء في شكواهم ان حاكم مقاطعة كوبال انـذرهم بوجوب ترك اراضيهـم والاتجاه الى مقاطعة اباكوم وحدد الانذار بفترة ٢٤ ساعة وفي حالة رفضهم فان الحاكم العسكري لمقاطعة سيمرجسكي سيتولى تنفيذ هذا الطلب باستعمال القوة والاسلحة النارية (١) · كما هدد القرغيز باللجوء الى القوة في الدفاع عن اراضيهم وممتلكاتهم ضد هؤلاء الاعداء (٢) · وعلى هذا الاساس كان على الكزاخ ان يختاروا اما ان يموتو جوعا بدون عمل او ان يموتو رميـا بالرصاص · وهكذا فان سياسة روسيا القيصـرية هـذه عجلت فـي قيـام الاضطرابات في اواسط اسيا · يضاف الى ذلك ان المهاجرين جوبهوا بمشاكل كثيرة ساعدت على انتشار الفوضى نظرا لعجز منظمات الهجرة عن تهيئـة الاراضي الكافية لاستيعاب هؤلاء المهاجرين فخابت آمالهم عندما اتضح لهم ان الموقف عكس ماسمعوه من قصص خيالية ، فما كان عليهم الا ان يتعمقوا ويندفعوا اكثر نحو الداخل للوصول الى تلك الاراضي التي سمعو الكثير من القصص الخيالية عنها · ولم يهتم الموظفون بمعالجة مشاكلهم فكان علـى المواطنين الجدد ان ينتشروا ويفتشوا عن الاراضي الغير مأهولة والخصبة بأنفسهم وحتى اذا اضطروا الى التصادم مع السكان الاصليين· وكانت الحكومة قد رصدت مبالغ كبيرة لسد نفقات الاستيطان فكانت مخصصات الدولة لمنطقة سيمرا لوحدها لفترة ثلاث سنوات ١٩٠٦ ــ ١٩٠٨ مبلغ ١٧٢ الف روبـل وكانت المخصصات لمنطقة سيردار ولنفس المدة مبلغ ٩٣٥٧٦ روبـل (٣) · ولكن الجزء الاكبر من هذه المخصصات لم يصرف على الاستيطان بل ذهب الى جيوب المأمورين الحكوميين المسؤولين عن سياسة الاستيطان · وتوضح لنا الوثائق والسجلات درجة استهتار اولئك الموظفين وخاصةفي منطقة طاشقند، مما اضطر الحكومة الى اجراء التحقيق معهم وعلى الرغم من ادانتهم فلم تتخذ

---

١ – الارشيف المركزي لجمهورية ازبكستان وثيقة ٢٦٧ ورقة ٢٦١ سنة١٩٠٦
٢ – ارشيف الثورة المركزي وثيقة ٧٩ ورقة ٢ سنة ١٩٠٧ ·
٣ – من تقرير بالين حول مشكلة الهجرة ص٩٣ ، ص٢٣٣ ·

ضدهم اي اجراء • وفي الفترة مابين ١٩١٠ ــ ١٩١٤ ، وهي فترة اشتداد الحركة الثورية وقيام الانتفاضات الفلاحية ازدادت حركة الهجرة المعاكسة بصورة ملموسة فأشتدت ازمة سياسة الهجرة والاستيطان القيصرية ، اذ ان جماهير الفلاحين الذين لم يستقروا بعد رجعوا مع امتعتهم من سيبريا واواسط اسيا ويوضح ذلك الجدول الاتي (١) •

الهجرة المعاكسة بالنسبة المئوية	عدد المهاجرين بالالف	السنة
٦	٦٦٥	١٩٠٨
١٣	٦١٩	١٩٠٩
٣٦	٣١٦	١٩١٠
٦٠	١٨٢	«لمدة شهر فقط» ١٩١١

وكانت نسبة الهجرة المعاكسة لسنة ١٩٠٩ ٢١٪ وفي سنة ١٩١١ اصبحت ٨١٪ (٢) ان ازدياد الهجرة المعاكسة ونموها ادى بدون شك الى اشتداد ازمة النظام الاقطاعي في وسط روسيا واطرافها ، فهاج الفلاحون وازدادت جموع (المعدمين) والناقمين على الاوضاع القائمة على ان ذلك لم يقتصر على اواسط روسيا بل امتد حتى اطراف مناطق الاستبس واعترف المسؤولون في الحكومة القيصرية بالمشاكل التي نشأت عن الهجرة المعاكسة • ومن اجل الخروج من هذه الازمة قررت السلطة القيصرية اتباع منهج جديد في سياسة الاستيطان فعرضت المسألة على مجلس الدوما للمناقشة في عام ١٩٠٩ • فصرح رئيس اللجنة الزراعية والاصلاح الزراعي « كريفوشين » :

« ليست الواجبات الاساسية هي تهجير الفائض الفلاحي من اواسط روسيا بل المهم اسكانها وتوطينها في المناطق النائية » • ثم صرح كريفوشين مبدأين اساسيين يجب ان تقوم عليها عملية الهجرة هما : لااقتصر واجبات الدولة الاساسية في عملية الهجرة على تنفيذها وسيلة لحل مشكلة الاراضي في اواسط روسيا والاورال وتسيار الاقامة في هذه المستعمرات (المستوطنات) عفوية وانما يجب ان تسعى لتحقيق اهداف سياسية وحضارية في هذه المناطق الغنية اقتصاديا • ويرى كريفوشين ضرورة انشاء مساحات شاسعة من اراضي الاستبس في مقاطعات تركستان وميجان وماوراء القفقاس وتنظم شؤون

---

١ — الارشيف المركزي لجمهورية اوزبكستان وثيقة١٧ ورقة ٢٨ سنة١٩١٠•
٢ — لينين ــ المجموعة الكاملة جـ ٢٦ ص ٣٧٣ (باللغة الروسية) موسكو ١٩٤٧ •

الري فيها ومن ثم تشجيع العناصر الروسية القوية على الهجرة اليها ، وبذلك يمكن أن تتم عملية بناء حصون حضارية وسياسية واقتصادية على حدود روسيا الاسيوية النائية » (١) ٠ وكتب الامبراطور نيقولا الثاني في ٢٢ كانون الثاني عام ١٩١٠ الى رئيس الوزراء « ستولبين » حول وجوب التوفيق بين حل مشكلة الاراضي في داخل روسيا ومشكلة الهجرة الى اسيا الوسطى وان لا تتماهل الحكومة في تحقيق هذين الهدفين (٢) ٠ كانت الخطوة الاولى في تنفيذ هذه السياسة الجديدة هي اقالة الحاكم العام لمقاطعة تركستان مشينكا وتعين الجنرال سمسونوف بدلا عنه ٠ اما الخطوة الثانية فكانت رحلة كريفوشن الى تركستان عام ١٩١٢ ويذكر كريفوشن بان من اهداف رحلته هي دراسة امكانية زيادة زراعة القطن في تركستان وحل مشكلة المياه ومشكلة المهاجرين الروس والسكان الاصليين (٣) ٠ ويشير كريفوشن في تقريره بعد الرحلة في ارجاء تركستان الى ضرورة الاعتماد على العناصر النشطة من العنصر الروسي في تحقيق اهداف الاستيطان في هذه المناطق النائية ويذكر ان الفلاحين الروس الفقراء لا يمكنهم العيش في وسط الفلاحين المسلمين الاغنياء الامر الذي يتطلب تقريبهم اقتصاديا وعن هذا الطريق يصبح بالامكان فرض السيطرة السياسية الروسية على تركستان (٤) وفي عام ١٩١٠ فتحت مقاطعة سيبيريا في وجه المهاجرين الروس وفي ١٩ كانون الاول سنة ١٩١٠ صادق مجلس الدوما الامر القيصري المرقم ٢٧٠ الخاص بالموقف في تركستان والمتعلق بتخويل لجنة الزراعة والاصلاح الزراعي بالاستيلاء على اراضي القبائل الرحالة في مقاطعات سيردار وسمرقند وفرغانا من اجل تهيأتها لاستقبال المهاجرين الروس ٠ وفي ١٩ حزيران سنة ١٩١٠ اصدر الحاكم العام لمقاطعة تركستان الجنرال سمسونوف اوامره الى جميع دوائر الهجرة والاستيطان وموظفيها بوجوب تطوير اعمالهم وان يتم الانسجام بين اعمال الموظفين الاداريين المحليين وموظفي دوائر الهجرة وبشرط ان تكون اعمال موظفي دوائر الهجرة وتحركاتهم وفقا للقوانين والانظمة المرعية ٠

---

١ – كريفوشن ــ حول الزراعة والاصلاح الزراعي من رحلة في تركستان ص ٤ سنة ١٩١٢ بتروغراد

٢ – الارشيف الاحمر رقم ج ٥ لسنة ١٩٢٥ ص ٢٥ ٠

٣ – كريفوشن ــ ملاحظات كريفوشن حول مشكلة الارض والزراعة في تركستان ص ٢٢ عام ١٩١٢ ٠

٤ – كريفوشن ــ ملاحظات كريفوشن حول مشكلة الارض والزراعة في تركستان ص ٤ عام ١٩١٢ ٠

كما وجه الجنرال سمسوتوف انذارا الى قبائل القرغيز بالتنازل عن اراضيهم وقد انفتحت اسيا الوسطى بصورة رسمية للهجرة وفقا للاسلوب الجديد منذ سنة ١٩١١ ٠ وحتى سنة ١٩١٠ جاءت معظم العناصر المهاجرة من اوكرانيا ومنطقة سريدين جورنيز وكانت نسبتهم تؤلف ٣/٤ من لجموع المهاجرين ٠ وفي عام ١٩١١ ارتفعت نسبة المهاجرين من منطقة حوض نهر القولفا بسبب سـوء الموسـم الزراعـي ٠ وانتشار المجاعة هناك ٠ فقد وصل الى منطقة سيميرجسكي حوالي ٤٠ الف مهاجر ينتظرون تهيأت الارض والاسـتيطان ٠ ويذكر كريفوشن في تقاريره عن رحلته الى تركستان ٠ ان عدد الوحـدات الزراعية التي تم انشائها في مقاطعات تركستان الرئيسية مثل سيردارنسكي وفرغانا وسمرقند لم يزد عن ٦٥٠٠ وحدة زراعية في اوج عهـد السـيادة الروسية هناك وازداد عدد هذه الوحدات في سنة ١٩١٢ بحيث اصبح ٨ الاف وحدة زراعية ٠ وذكرت دائرة الهجرة في مقاطعة سيميريج سـنة ١٩١٣ ان هناك حوالي ٥١٥٣ عائلة روسية تظم ١٦٦٦٥ نسمة تنتظر الاسـتيطان ٠ وقطع سمسونوف على نفسه عهدا بان يوفر الاراضي والاسـتيطان لكافـة المهاجرين الروس ولكن على حساب السكان الاصليين ، وظـرا لنشـاطاته هذه فقد اتسمت عملية الاستيلاء على اراضي القبائل الرعوية فـي اسـيا الوسطى بحساب المهاجرين الجدد مما اضطرت ٧٠٠ عائلة من القرغيز الـى ترك اراضيها والاتجاه نحو الاراضي الصينية (١) ٠ اضافة الى المضايقات التي لاحقت ٧٢٠ عائلة اخرى ، وعلقت صحيفة « ريجة » الصادرة في موسكو في ٢١ كانون اول سنة ١٩١٢ تقول ان الضغوط التي تمارسها دوائر الهجرة في مصادراتها اراضي القرغيز في مقاطعة كومشنكا تنذر بقيام الثورة لان هذه السياسة قد اضطرت اعدادا غفيرة من القرغيز الى التوجه نحو الاراضي الصينية (٢) ٠ وبعد طرد الكازاخ والقرغيز من أراضيهم اعطـت الحكومة قسما من هذه الاراضي الى النبلاء والاقطاعيين المحليين لكي يكونوا سندا لها ففي مقاطعة سيميريجسكي منح القيصر سنة ١٩١٠ النبيل « جاتايف » وساما مع قطعة ارض مسـاحتها ٤٠٠ هكتار ٠ كمـا منـح الاقطـاعي الكازاخـي « كانيساريتو » ٩٠ هكتار في سنة ١٩١٣ ٠ واستلم التاجر الكبير «يولداش» سنة ١٩١٤ قطعا من الاراضي بلغ مجموع مساحتها ٤٤٠٠ هكتار في مقاطعة

---

١ – الارشيف المركزي لجمهورية اوزيكستان وثيقة١٣، ورقة٢٨ سنة١٩١٠ ٠
٢ – ريج ـ ٢١ كانون اول ١٩١٢ موسكو ٠

« بارانجين » و ١٦٠٠ هكتار في مقاطعة جاركودسكي · وذلك بالتأجير لمدة ٣٦ سنة بقيمة ٢٥ كبيك للهكتار الواحد · كما اقطعت الكنيسة ومؤسساتها اراض واسعة · ففي عام١٩١١ تنازلت السلطة القيصرية الىدير «ايفيرسكو» في مقاطعة « مير نينسكي » عن قطعة ارض مساحتها ٧٦٥ هكتار انتزعت من الكازاخ · كما حاولت السلطة القيصرية ان تكون لنفسها سندا في اسيا الوسطى بتشجيعها ظهور طبقة من الكولات فاشترطت على الهاجرين الى تركستان ان يملك المهاجر مالا يقل قيمته عن الف روبل مع خبرة زراعية · وكانت غايتها من ذلك ان يكون المهاجرين من ذوي الامكانيات المادية لامجرد فلاحين معدمين (١) ، وبذلك استولت عناصر الكولاك والمقربون من القيصر على اجود انواع الاراضي · وعندما افتتحت قناة رومانوف في سنة ١٩١٣ كان من المقرر لها ان تروي من الاراضي مامساحته ٤٥ الف هكتار غير انها لم ترو اكثر من ١٥٠٠ هكتار وكانت هذه الاراضي قد استولى عليها الكولاك من الروس المقيمين هناك · كما سيطر الموظفون المسؤولون عن دوائر الهجرة على جزء اخر من هذه الاراضي الا انهم لم يستغلوها بانفسهم بل عن طريق التأجير الى اخرين مخلصوا من جزاء ذلك على مبالغ من المال دون ان يبذلون اي جهد (٢) ·

اما الوضع الاقتصادي بالنسبة للمهاجرين فكان على مستوى واحد اذ ان القرى الروسية لاتختلف بعضها عن البعض الاخر اقتصاديا على الرغم من الاختلاف في وقت تأسيسه · ولم يستعملوا نظام الدورة الزراعية بأي شكل من الاشكال ولم يزرعوا القمح والكروم والتبغ · وكان للمناخ اثره على ذلك وربما لبعد هذه المناطق عن المركز الحضاري اثره ايضا · يضاف الى ذلك توقف المساعدات المالية عنهم ·

لقد سببت حركة الهجرة زخما قويا للتفاوت الطبقي ، فكان اكثرية الفلاحين المهاجرين من الفقراء ، والواقع ان حركة الهجرة الفلاحية قدزادت من شدة التباين الطبقي بين الفلاحين بهجرتهم الى هذه المناطق من جهة

---

١ – فوشيمنين – الهجرة والاصلاح الزراعي في روسيا الاسيوية ، مجموعة القوانين والاوامر ص ١٢٣ عام ١٩١٣ ·

٢ – الارشيف المركزي لجمهورية اوزيكستان وثيقة ٢٠٣ ورقة ٩ بتروغراد سنة ١٩١٥ ·

بحر اورال : وهو احد البحار الداخلية في اسيا الوسطى تصب فيه عدة انهر اشهرها نهر سردار وامودار ·

والكولاك الذين بقوا في اماكنهم الاصلية فقد تخلصوا من خطر هؤلاء الفلاحين الذين هاجروا ليعيشوا في ظل هذه الظروف القاسية • اذ كان كثيرا منهم في مناطق الاستيطان الجديد بلا مأوى ، كما انهم لم يألفوا طريقة العيش والحياة في اسيا الوسطى • كما كان قسم منهم يعاني من مشكلة المياه فأصيبوا بأمراض متعددة ، بل ان بعضهم فقدوا مزارعهم نتيجة للجفاف وقلة المياه • فكان على سكان بعض هذه القرى السير لمسافة اربعة كيلو مترات للحصول على المياه الصالحة للشرب خاصة في منطقة « نيقولا الجديدة » • اما المهاجرون الى مناطق بحر اورال فكانوا يسكنون على سواحل البحر مباشرة تحيط بهم الصحراء وهي خالية من المياه العذبة بصورة مطلقة • وكان عليهم ان يقطعوا بالقطار عدة محطات لشراء الماء العذب ودفع ٢٠ كبيك عن كل اناء منه • كما ان معظم هذه الاراضي لم تكن صالحة للزراعة ولا يمكن ان تقوم الزراعة في هذه المناطق بدون الري الاصطناعي ، خاصة زراعة القطن والرز والكروم •

ولم تكن السلطة القيصرية جادة في حل مشكلة المياه في هذه المناطق ، ففي عام ١٩٠٧ عقد في مدينة طاشقند مؤتمر لحل مشكلة المياه ، ولم يتوصل المؤتمر الى حلول علمية للمشكلة ، وظل الانتفاع من مياه القنوات الاروائية يتعلق بقوة الفرد ونفوذه الاقتصادي والسياسي ، فيستأثر بعضهم بنصيب كبير من هذه المياه على حساب الاخرين ولايسمح بعضهم في بعض الاحيان بمرور القنوات عبر اراضيهم الا بعد استيفاء ضريبة معينة ومثال على ذلك الاقطاعي « يولداش » في مقاطعة سيميريجسكي والتاجر كوموروف في طاشقند الذين منعوا مرور القنوات عبر اراضيهم لارواء الاراضي الجديدة •

وقد اخذت السلطة القيصرية تفكر بحل مشكلة المياه في مقاطعة الاستبس بعد احتلال مقاطعة تركستان • فشقت اول قناة اروائية هي قناة الامير نيقولا ، يبلغ طولها ٨٣ فرسخا ، وقد تم انشائها عام ١٨٩٥ بكلفة ٢٢٠ الف روبل ، تروي مساحة من الارض قدرها ٧٩٢٠ هكتار • ووسعت القناة عام ١٩٠٨ بحيث اصبحت تروي ١٢ الف هكتار ، وكانت نفقات تشغيلها تقدر ب ٩ الاف روبل سنويا منها اربعة الاف لنفقات ادارتها وخمسة الاف لصيانتها ، وبلغت نفقاتها خلال الفترة ١٨٩٨ ــ ١٩٠٨ حوالي ٧٠ الف روبل • وبعد انجاز مشروع قناة نيقولا الاول وضعت خطة لانشاء مشروع

اروائي جديد باسم مشروع « رومانوفسكي » والذي كان من المقرر ان يروي ٤٥ الف هكتار من الاراضي • وتعهد بتنفيذ المشروع بعض الشركات في بترغراد بكلفة ٧٫٥ مليون روبل ، الا انه عند انجاز المشروع لم يستطع من ارواء اكثر من ١٥٠٠ هكتار فقط ويظهر ان متعهدي انجاز المشروع سرقوا اموالا طائلة من مخصصات نفقاته •

وبعد شق قنوات المياه في اراضي الاستبس بدأ العمل بتقسيم الاراضي، الا ان هذا التقسيم شمل كبار الموظفين والاقطاعيين والشخصيات المتنفذة • فقد استلم مدير شرطة مدينة « فيرنوفو » في بداية الحرب العالمية الاولى عشرة الاف هكتار من اراضي الكازاخ وفي سنة ١٩١٥ تم الاستيلاء على مايزيد على مليون وثمانمائة هكتار في اراضي الكازاخ لصالح الاقطاعيين والمدراء والكولاك • وقدمت السلطة القيصرية في سنوات الحرب العالمية الاولى بعض الاراضي الى الضباط الجرحى والجنود الذين ابلو بلاء حسنا في المعارك الحربية • ولكن هؤلاء الملاكين الجدد انفسهم كانوا يسكنون بعيدا عن الاراضي التي يملكونها وكانوا يشغلونها عن طريق التأجير •

ان سياسة الاستيطان الجديدة التي انتهجتها السلطة القيصرية ادت الى شدة الصراعات القومية بين الروس والسكان الاصليين ، اذ ازداد حقد السكان الاصليين من الكازاخ والقرغيز على السلطة القيصرية التي اخذت بتسليح المهاجرين الروس وسمحت بتجارة الاسلحة النارية في تلك المناطق فاستغلت عناصر الكولاك والاقطاعيين الجدد هذا الفراغ من اجل الاستيلاء على اراضي السكان الاصليين من الكازاخ وغيرهم • كما اتسعت حوادث سرقة المواشي والخيول مما اتخذ حجة لدى السلطات الادارية في طرد الكازاخ من اراضيهم . فاضطر ابناء قبائل الكازاخ على الهجرة الى المناطق الجبلية والمراعي النائية تاركين منازلهم واراضيهم •

وهكذا انتهى الصراع الطويل بين الاطراف المذكورة بانتزاع الاراضي من السكان الاصليين • ان سياسة الهجرة والاستيطان التي نفذتها حكومة « ستولبين » من آسيا الوسطى والتي قامت على اساس التسلط واستغلال القوميات الغير روسية وتجريدها عن اراضيها وممتلكاتها واهانتها ادت الى اشعال نار التطرف القومي في اسيا الوسطى •

ادت الحرب العالمية الاولى الى تحطيم اقتصاديات البلاد كافة وكان تأثير ذلك واضحا على السكان الاصليين المستعيدين منقبل السلطة القيصرية في اسيا الوسطى ٠ فقد وصل الاستغلال ذروته خلال سنوات الحرب ، وكانت التبعية ثقيلة على كاهل الجماهير الشعبية في اسيا الوسطى من السكان الاصليين ٠ فقد صادرت السلطة دوابهم ومواشهم وكافة ممتلكاتهم ٠ وتشير تقارير كروبايكين الى حجم الصادرات التي استحوذت عليها السلطة القيصرية٠ فكانت تساوي ٤٠٨٩٩٢٤٤ بود (١) من القطن و ٣١٠٩ الف بود من السمن النباتي ٢٢٩ الف بود من الصابون و ٣٠٠ الف بود من اللحم و ٤٧٣٩٢٨ بود من السمك «٢» ٠

وفي منطقة ماوراء بحر قزوين وحدها صودر من السكان الاصليين ٦٨٧٢ راسا من الخيول و١٢٨٠٥ من الجمال و٢٠٠ حمار اضافة الى ممتلكات بلغت قيمتها ٢٢٣١٨٩ روبل ٠ واخيرا اصدرت السلطة القيصرية في ٢٥ حزيران سنة ١٩١٦ امرا بالاستيلاء على جميع موجودات السكان الاصليين لخدمة الاغراض العسكرية مما ادى الى ثورة السكان الاصليين في اسيا الوسطى عام ١٩١٦، ولو ان السبب الرئيسي للثورة هوالاستيلاء على اراضي السكان الاصليين ، كما يذكر ذلك الحاكم العسكري العام لمقاطعة سيميرجسكي في ١٦ كانون اول سنة ١٩١٦ ٠ اذ يذكر التقرير ان السلطة استولت خلال عشد سنوات على ٢ مليون هكتار من اراضي السكان الاصليين من الكازاخ مما اضطرهم على النزوح الى المناطق النائية المتاخمة لحدود الصين والصحاري والفيافي (٣) ٠ فكان السبب الرئيسي سياسة الهجرة والاستيطان التي سلكتها الحكومة القيصرية والتي ادت الى القضاء على السكان الاصليين ونشر الفقر والجوع ٠ ومن الكفاية القول بأنه منذ سنة ١٩٠٢ حتى سنة ١٩١٣ انخفضت نسبة سكان الكازاخ ٨ ــ ٩٪ ٠ وقد شملت ثورة سنة ١٩١٦ وبسرعة جميع مناطق اسيا الوسطى وكانت اكثر عنفا في

---

١ – البود وحدة وزن كانت تستخدم في روسيا القيصرية ، ويعادل البود الواحد ١٦ر٥ كيلو غراما ٠ (المترجم)

٢ – فيدوروف ــ حركة التحرر القومي في اسيا الوسطى ص ٥٤ طاشقند سنة ١٩٢٥ ٠

٣ – الارشيف المركزي لجمهورية اوزبكستان ــ الحاكم العام وثيقة رقم ١١٠٠ ورقة ٨٣ سنة ١٩١٦ ٠

مقاطعة سيميريجنسكي وقد واجهتها السلطة القيصرية بالحديد والنار فنظمت حملات تأديبية لاخماد الثورة كانت تتنقل في اسيا الوسطى تنهب وتقتل وتحرق ، مما اضطر ٣٠٠ الف عائلة اي مايعادل ¼ السكان الاصليين من الكازاخ الى الهجرة الى غرب الصين وقسمت اراضيهم وقراهم على الروس المستعمرين . وسلكت السلطة القيصرية نفس الاسلوب في القضاء على ثورة الاوزبك والتركمان فاضطرت اعداد كبيرة منهم على الدخول الى فارس وتركيا .

ان سياسة الاستيطان والهجرة جاءت في صالح الكولاك والموظفين الاداريين ورجال الدين ولكنها ادت الى افقار وتحطيم شعوب اسيا الوسطى واضطهادها ولم تتمكن هذه السياسة من حل المسألة الزراعية في روسيا الاوربية بل العكس زادتها قوة وتعقيدا كما عمقت الخلافات القومية ونخرت النظام القيصري وهيأت الجو لنجاح ثورة اكتوبر الاشتراكية سنة ١٩١٧ .